العدد(1368) السنة السادسة-الخميس (13) تشرين الثاني 2008 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

يـــوميات زمـــن الحـــرب

اسم الكتاب: مذكرات آغنس همبرت

عندما سقطت باريس في ١٤ حزيران ١٩٤٠، كانت آغنس همبرت في حالة سيئة جداً نظراً لكونها من المؤيدات المتحمسات للجمهورية الفرنسية وللجبهة الشعبية بقيادة ليون بلوم، ٣٨ ـ ١٩٣٦ ، وتلك الحكومة مثل معاصرتها الاسبانية سقطت قبل الهجوم الفاشي والخوف من الشيوعية الذي ساد في مرحلة الحرب الاهلية الاوروبية ، وعندما شكل «ذلك الاحمق المضحك بيتان حكومة فيشي التي تعاونت مع الغازي النازي بدأت آغنس العمل.

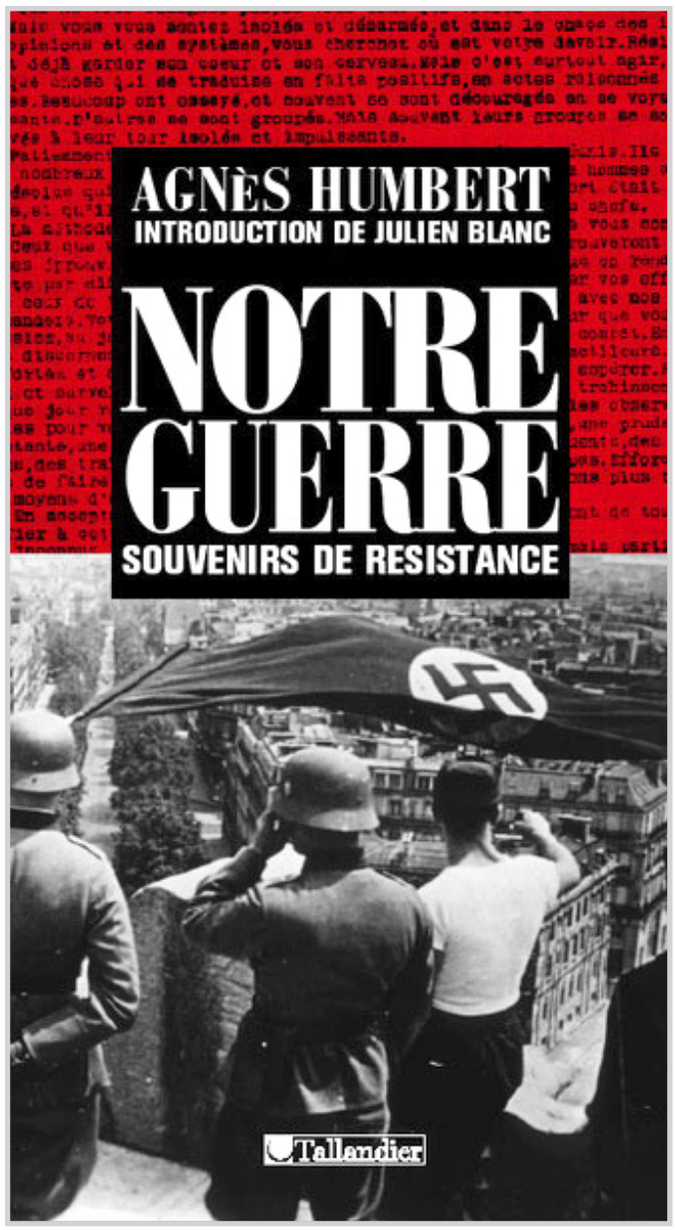

ترجمة : نادية فارس

كانت آغنس مطلقة ولها ولدان ، مؤرخة فنون تعمل في المتحف الوطني للفنون، الذي مع متحف الرجل ، بدأت فيه حركة تشكيل المقاومة الفرنسية بين العاملين فيه رجالا ونساء وصدر فيه اول نداء للمقاومة ، واليوم يعتبر اولئك الاشخاص رمزاً للبطولة وشهداء المقاومة الفرنسية.

وبالمصادفة وحدها توقفت آغنس في ١٨ حزيران عند مؤشر إذاعة BBC وسمعت نداء ما يسمى آنذاك بـ جنرال فرنسا . جارلس ديغول يدعو مواطني بلاده الى مواصلة الكفاح، وبدأت آغنس في كتابة يومياتها. خرجت من الدار الى الحديقة الهت والانفاس تخنقني»..وهذا ماكتبته عن مشاعرها لدى سماعها النداء الذي أعلمها ان هناك أملاً ما زال متبقياً ، هذه الاحاسيس المتدفقة والروح غير الانهزامية جعلت من يومياتها في مقدمة ما كتب عن فرنسا في تلك المرحلة . او بالاحرى المقاومة الاوروبية لهتلر والنازية.

آغنس همبرت ، كانت شخصية قوية ومناضلة صلبة، من ذلك النوع الذي يرتجف الرجال امامها، وعندما بدأت بالكتابة بدت شخصيتها تتقافز بين صفحة واخرى من يومياتها التي طبعت عام ١٩٤٦ في فرنسا، وسرعان ما اكتسب الكتاب شهرة لكونه الافضل تاريخياً ، اما هذه الطبعة الجديدة فهي الاولى بالانكليزية وقامت بترجمتها باربرا ميلر.

تقع مذكرات آغنس في ثلاثة اجزاء في الجزء الاول تغطي الكاتبة الفترة الزمنية الممتدة من السابع من حزيران ١٩٤٠ الى نيسان ١٩٤١ ، وبواسطة مذكراتها تحكي آغنس عن تشكيل شبكة متحف الرجل السرية، وكان ذلك في آب ١٩٤١ ، وبعد سبعة اشهر تمت الوشاية بهم واعتقل اغلبهم ، وفي ٢٣ شباط ١٩٤٢ ، اطلق النازيون النار على سبعة منهم في مونت فاليرين، الحصن القريب من بولون الذي يستخدم اليوم كنصب تذكاري لهم ولعدة مئات لأفراد من المقاومة الذين قتلوا هناك.

وبسبب بطولة اشخاص مثل اولئك ولشجاعتهم في مواجهة الموت. انشد رفاق همبرت «فلتحيا فرنسا، كلما رفع الجنود الالمان بنادقهم.والسبب الذي من اجله يعتبر كتاب اغنس مفضلاً ، هو ان العديد من كتب المقاومة الفرنسية تتضمن بعض المبالغات في حين يخلو كتابها من ذلك، كانت همبرت تؤدي عدداً من المهام في المقاومة ، منسقة للاعمال وكاتبة على الطابعة..الخ وهي تصور باسلوبها تلك الايام ، عندما بدأت تكتب في الصحف السرية الاولى، واولى الاتصالات مع البريطانيين وايضا عن عدم امتلاك مجموعتها خبرة في القتال : كنا نعرف ان اغلبنا سيرمى بالرصاص او يذهب الى السجن.

اعتقلت آغنس همبرت من قبل الجستابو في نيسان عام ١٩٤١ وأمضت اربعة اعوام في السجن تكتب مذكراتها.. العام الاول لها في السجن أمضته في سجن فرنسي، وعندما اعدم رفاقها رمياً بالرصاص ، حكم عليها ان تعمل كالعبد في المانيا، وهي تتناول في كتابها قصص ملايين من الناس الذين عملوا في المعامل الالمانية الحربية، اذ كان النازيون قد اخذوا مليونين من الاوكرانيين كأرقاء للعمل في بلادهم، مع ثلاثة ملايين من البولنديين وملايين من الروس واللاتفيين والفرنسيين واليونانيين والإيطاليين وقد قتل عدد كبير منهم هناك.

همبرت من قبل الامريكيين وفي الجزء الثالث من كتابها ، وعبر يومياتها ايضا، تتحدث عن قيامها بالبحث عن النازيين ومساعدتها للجنود الامريكيين في القبض عليهم.

بعد انتهاء الحرب، كرمت آغنس ومنحت الميداليات ولكن صحتها ساءت وكانت بلغت الـ ٦٩ من عمرها لدى وفاتها، ومع ذلك فان كتابها يعيش حتى اليوم، يعطي شهادة ايضا لما يدور الان في العالم من احداث مشابهة ويروي امثلة لما فعله الاوربيون بعضهم لبعض قبل نحو ٧٠ سنة فقط.

وتحمل ذكريات همبرت شهادات لفضائع غير محتملة وحالات من الشقاء البشري والقسوة والموت والجوع وايضا الشجاعة ، وقد أمضت المؤلفة معظم اوقاتها في مصنع بكريفيلد جنوب غرب الروهر، وكانت هناك اعداد من مختلف انواع البشر يعملون في المصنع : مومسات لصوص ، قتلة وسجناء سياسيين مثلها، حتى تم قصف المكان في شهر آب عام ١٩٤٣ ، الكاربون الناتج من ذلك المعمل كان يؤذي القلب والاوعية الدموية، واصيب نتيجة ذلك عدد من العمال بالعمى، اضافة الى الاحماض الناتجة التي تؤدي الى امراض شتى، واولئك الذين يبقون على الحياة يصابون برئات وأقدام منتفخة.

كان في ذلك المصنع المئات من العمال وصفوف طويلة من النساء يعملون (كالروبوت) ساعات طويلة، ومما يجعل كتاب آغنس مقروءاً هوروح السخرية التي تتمتع بها وكيفية سردها تلك الحكايات، كنا نمزح مع بعضنا البعض في بعض الاحيان ونتبادل الدعابات فيما بيننا بشأن جميع الامور.

بعد سجن اربعة اعوام ، أطلق سراح

آينشتاين و السياسة .. في كتابين عن سيرته الشخصية

آينشتاين : حياته و عالمه ـ تأليف : ولتر آيسكسون
آينشتاين : سيرة حياة ـ تأليف / جرجن نيف

جون مورغان
ترجمة / عادل العامل

في عام ١٩٢١ ، خلال استقبال لا نهاية له كما يبدو تكريماً له في واشنطن ، قال ألبيرت آينشتاين للدبلوماسي المجاور له: «لقد طوَّرتُ للتو نظرية جديدة عن الخلود». خطر لي ذلك التصريح بعد كتابين جديدين عن سيرة حياة آينشتاين ، هما : (آينشتاين : حياته وعالمه) لولتر آيسَكسون و(آينشتاين: سيرة حياة) لجَرجن نيف . و كلا الكتابين يتحدثان عما نعرف الآن عن طفل آينشتاين مَن خارج العلاقة الزوجية ، الذي مات في طفولته ؛ و عن بروده نحو أم الطفل ، ميليفا ، و طفليهما الشرعيين اللاحقين ، الذي أصيب أحدهما بالشيزوفرينا ؛ و عن افتتانه بابنة عمه و زوجته الثانية أيلزا و ابنتها آيلز ؛ و عن أمرٍ متأخر له مع جاسوس سوفييتي، كما أن الكتابين يوفران تبصراتٍ جديدة داخل انشغاله في طفولته بالبوصلات و الضوء ؛ و عن تجاربه الفكرية مع تسريع القطارات و المصاعد ؛ و اكتشافه ثم نبذه لعشوائية الكم ؛ و سعيه العقيم وراء نظرية موحدة تصف كل قوى الطبيعة .

مع هذا ، يشعر آيسكسون بأنه ملزم ، كما ينبغي ، بتبرير قراره بإضافة كتاب آخر عن آينشتاين إلى ركام ما يزيد عن ٥٠٠ كتاب طُبع حتى الآن. فمن واجبنا كمواطنين جيدين ، كما يرى ، أن نفهم إنجازات آينشتاين العلمية ، التي تعزز كثيراً تطور العلم و التكنولوجيا الحديثة، بل و الأكثر أهميةً ، يمكن للتفحص القريب لعبقرية آينشتاين العلمية أن يتمخض عن دروسٍ تستطيع أن تساعدنا في « قرن العولمة الجديد ، الذي سيعتمد نجاحنا فيه على إبداعيتنا « .

لكنني حين أنظر إلى العالم من حولنا اليوم ، أحس بحاجةٍ إلى الإرشاد السياسي أكثر من الحاجة إلى العلمي، وذاك هو لماذا أنا مسرور بأني قرأت هذين الكتابين ، اللذين منحاني تقويماً أعمق كثيراً لحدس آينشتاين اللافت للانتباه في الشؤون السياسية.

و غالباً ما وُصف آينشتاين باعتباره نوعاً أبله من العلماء : أبله علمي ، أبله سياسي . « عبقريته محددة بالعلم . و في أمورٍ أخرى أحمق « ، كما قال صديقه المفترض الروائي و نصير السلم رومين رولاند .

و في الواقع ، كما يبيّن آيسَكسون و نيف ، اجتاز آينشتاين اضطراب القرن العشرين بفضل استثنائي منه، فقد وزن الأمور بكل حالات زمنه ـ الشيوعية ، و الفاشية ، و المكارثية ، و الرأسمالية ، و اللاسامية ، و الصهيونية ، و العنصرية ـ و أكد التاريخ ، في الجزء الأكبر ، خياراته السليمانية الفردية، فكم من معاصريه أصابه التوفيق هكذا ؟ و كم من قادة الرأي سيحصل له ذلك؟

لقد أصبح آينشتاين شخصاً معروفاً بين عشيةٍ و ضحاها تقريباً في عام ١٩١٩ ، بعد قياسات للفيزيائي البريطاني أرثر أدينغتون خلال كسوف شمسي أكد نظرية تنبؤات النسبية العامة بشأن كيف

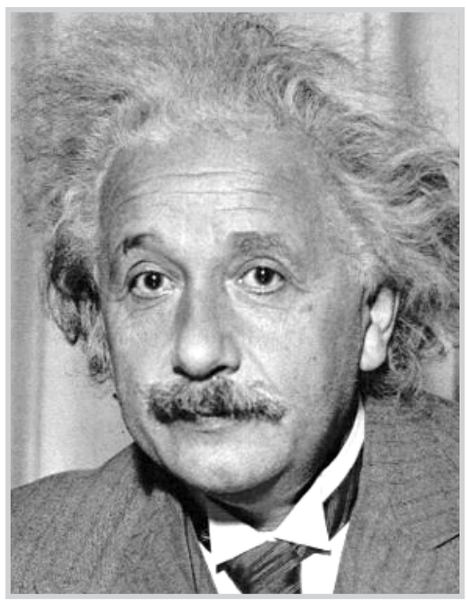

أن الجاذبية يجب أن تحني الضوء ، « الأضواء تنحني جميعاً في السماء « ، كما هللت لذلك النيو يورك تايمس، « نظرية آينشتاين تنتصر». واستغلها بقيةَ حياته للتحدث عن قضايا تهمه.

وأعلن نفسه، وقد أفزعته مجزرة الحرب العالمية الأولى ،» مقاتلاً مناصراً للسلم»، و راح يدافع عن نوع من العصيان المدني يدعى (حل الـ ٢ بالمئة) ، الذي كان تفترض أن الأمم لا يمكنها أن تشعل حرباً إذا ما رفض واحد من كل خمسين رجلاً الخدمة العسكرية .

وعندما بدأ هتلر يهدد جيرانه ، أعلن آينشتاين أنه لو كان بلجيكياً ، فسوف يتطوع للخدمة العسكرية « بسرور إيمانٍ بأن سيكون بذلك يساعد في إنقاذ الحضارة الأوروبية « .

واعتبر آينشتاين نفسه اشتراكياً على امتداد حياته و استنكر قسوة الرأسمالية، و عبّر في الأول عن استحسان حذر للتجربة السوفييتية ، ملاحظاً ذات مرة « أن رجالاً مثل لينين هم حراس و مجددون لضمير البشرية «. لكنه حذّر كذلك من أن الاشتراكيين و الشيوعيين يجب أن ينبذوا العنف و يعتنقوا الديموقراطية ، « خشيةَ أن يتم استبدال طغيان الطبقة القديمة من اليمين بطغيان طبقة جديدة من اليسار»، ولم ينتقد أبداً الاتحاد السوفييتي ، لكنه لم يقم بزيارته على الإطلاق ، أيضاً ، برغم الدعوات الموجهة له للقيام بذلك ، كما لم يلتحق بالحزب الشيوعي أبداً .

وباعتباره يهودياً غير مؤمن ، لم يزدهي آينشتاين بيهوديته ، بل كان يشمئز من المفهوم القائل بأن على اليهود أن يسترضوا اللاساميين من خلال استيعابهم، وكانت لديه شكوك مبكرة بشأن إقامة إسرائيل ، و كان يدعو الصهيوني المقاتل مناحيم بيغن بـ (الإرهابي) و يجزم بأنه « من دون فهم و تعاون متبادل مع العرب ، فلن يفيد شيء». فلا عجب إذاً أن يغتاظ رئيس الوزراء ديفيد بن غوريون ، بعد عرض رئاسة إسرائيل على آينشتاين في عام ١٩٥٢ ، من أنهم إذا قبل آينشتاين « سيكونون مقبلين على متاعب». (وقد رفض آينشتاين ، قائلاً: « أنا لستُ بالشخص المناسب لذلك ، ولا يمكنني ربما القيام به.»

وفي عام ١٩٣٩ ، كتب آينشتاين رسالةً إلى الرئيس فرانكلين د. روزفلت ، محذّراً من أن الولايات المتحدة ينبغي أن تحاول بناء سلاح ذري خوفاً من أن يبني النازيون واحداً قبلها. و قد ساعدت نصيحته على البدء بمشروع مانهاتن. و كما تبيَّن ، فإن رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي ، ج. إدغار هوفر ـ الذي لم يثق بآينشتاين أبداً واحتفظ بملفات غزيرة عنه ـ كان قد جعل السلطات تستثنيه من المشروع . و قد ذكرت وثيقة غير موقّعة لدى المكتب « أن هذا المكتب لن يوصي باستخدام الدكتور آينشتاين في أمور ذات طبيعة سرية».

وبعد أن قصفت الولايات المتحدة اليابان ، أسفَ آينشتاين على رسالته المشؤومة إلى روزفلت. و قال: « لو علمتُ أن الألمان لن ينجحوا في إنتاج قنبلة ذرية ، ما كنت لأرفع إصبعاً أبداً « . و يبدو انتقاده الذاتي قاسياً ، بموجب أنه في عام ١٩٣٩ كان من المعقول تماماً أن ويرنر هيسينبَرغ و فيزيائيين ألمان آخرين يمكن أن ينجحوا في تصميم سلاح ذري .

وظل آينشتاين ، بقيةَ حياته ، يحاول التكفير عن فعلته بالتأكيد على أن أمريكا ينبغي أن تتخلى عن معرفتها و سلاحها النوويين لكيان « أممي أعلى supranational « . وكان ، في الحقيقة ، يعتقد بأن الإنسانية لن تحقق السلم إلا إذا تنازلت الأمم عن سيادتها لهيئة عالمية تقضي في النزاعات، فهل لدى أي شخصٍ ، يا تُرى ، فكرةً أفضل ؟

و حين أفسحت الحرب العالمية الطريق للحرب الباردة ، أصبح آينشتاين على نحو متزايد منزعجاً من جنون معاداة الشيوعية في أمته الجديدة (بعد أن أصبح مواطناً أمريكياً في عام ١٩٤٠). و كتب ، قائلاً: « إن أمريكا أقل تعرضاً لخطر شيوعيِّيها من المطاردة الهستيرية للشيوعيين القلائل الذين يعيشون هنا ، بشكلٍ غير قابل للمقارنة». و خلال فترة المكارثية ، راح حتى المعجبين به يعنّفونه لحثه على عدم التعاون مع اللجان الفيدرالية التي كانت تطارد الشيوعيين. و كتبت صحيفة النيو يورك تايمس هادرةً: « إن استخدام قوى غيرطبيعية ولا قانونية من العصيان المدني هو في هذه الحال مهاجمة شرٍّ بآخَر « . فردَّ بريتراند رَسل سريعاً بقوله: « إنكم كما يبدو ترون أن على المرء إطاعة القانون على الدوام ، مهما كان سيئاً، وأنا لا أملك هنا إلا الظن بأنكم تُدينون جورج واشنطن و تؤمنون بأن على بلدكم العودة إلى الولاء لصاحبة الجلالة ، الملكة أليزابث الثانية «.

و قد اتخذ آينشتاين مواقف شجاعة أخرى، فقد ناصر التربية الجنسية ، و دافع عن حق النساء في الاجهاض ، و حق الشاذين جنسياً في العيش بسلام ، وحق السود في تلقّي معاملة متساوية مع البيض . و دعم أقواله بالأفعال ففي عام ١٩٣٩ ، حين رفض فندق الناسو، في بريستون ، أن يعطي غرفةً للمغنية السوداء ماريان أندرسون، استضافها آينشتاين في بيته.

و يقدم المؤلفان ، آيسَكسون و نيف ، تأكيدات متباعدة عن سنوات آينشتاين الأخيرة . فنيف يصرح بأن آينشتاين كان يشعر على نحو متزايد بالعزلة في الولايات المتحدة ، و اشتكى ذات مرة ، « لقد أُرتكبت خطأً باختياري أمريكا أرضاً للحرية « ، لكن آيسَكسون يُقنعني بأن آينشتاين « قد أنقذه من اليأس الخطير تجرّده الظريف و حس الدعابة لديه، و لم يكن مقدّراً له أن يموت رجلاً مريراً « .

أيّة سيرة حياة منهما أفضل ؟ إن نيف يعالج موضوعه بشيء من الفظاظة ما كان يمكن لآينشتاين أن يثمّنها، أما آيسَكسون ، فلن يكرر، كما يفعل نيف ، تعليق أحد معارف آينشتاين بأنه « كان يحب النساء ، و كلما كنَّ عامّيات و كريهات الرائحة و متَّسخات أكثر، أحبَّهن أفضل»،كما أن نيف أكثر مهارةً في تفسير تأثير آينشتاين على الباحثين الحديثين ، بمن فيهم أصحاب نظرية الأوتار ، وعلماء الكونيات ، ومستكشفي غرائب ميكانيك الكم .

و يمكن لآيسَكسون أن يكون توقيرياً جداً نحو الرجل الذي يدعوه بـ (المتمر/ التوقيري) ، لكن سرده يتدفق بسلاسة، والأكثر من ذلك ، أنني قد ثمّنتُ سعيه للعثور على الخصائص المشتركة بين الحساسيات السياسية والعلمية لدى آينشتاين، وفي كلا الحقلين ، كما يذكر آيسَكسون ، كان آينشتاين مدفوعاً بالمقاومة للسلطة و الإذعان ، والحساسية تجاه الحقائق وليس العقيدة dogma ، والهوى نحو البساطة ، والثبات.

عن / The Chronicle Review

* جون مورغان مدير مركز كتابات العلم في معهد ستيفينس للتكنولوجيا .

الرجل الذي أحب الصين

تأليف: سيمون وينجستر
ترجمة: المدى

قبل اربعة الآف عام، عندما كان الغرب لايعرف حتى القراءة كان الصينيون يعرفون جميع الامور المفيدة التي تتباهى اوروبا بمعرفتها اليوم، هذا ما كتبه الفيلسوف الفرنسي فولتير في عام ١٧٦٤ ، ولكن ان كنا في الوقت الحاضر ندرك اهمية تلك الكلمات فان الامر يعود الى رجل انكليزي. كان جوزيف بندلهام ، خريج كيمبردج رجلاً مغامراً جريئاً، موسيقياً وراقصاً، ومدخناً بلا انقطاع ، وهو ايضاً الذي كتب عن الصين في الغرب. يندلهام هو موضوع هذا الكتاب «الرجل الذي احب الصين» تأليف سيمون وينجستر الصحفي السابق ومؤلف كتاب «البروفسور والسيدة» الذي حقق اعلى المبيعات مضافاً الى ذلك كتابيه «كراكوا» و«الرجل الذي غيّر العالم». وقد ادرك وينجستر دور بيندلهام عبر قراءته عدداً من الكتب من اجل بحث يعده ودهش لعدم معرفته شيئاً عن الرجل الذي حقق اوسع انسكلوبيديا عن الصين، بعنوان: (العلم والحضارة في الصين). قد يمكن تبرير عدم معرفة القراء بموضوع تلك الانسكلوبيديا لتاريخ العلوم ، ولكن يندلهام لايمكن تجاهله. لقد تمرن ودرس ليكون كيميائياً . بايولوجياً . واصبح فعلاً اسماً شهيراً في ذلك المجال ، انذاك، ولكن يندلهام امتلك المشاعر والطاقة والحيوية، وقد توجه حماسه نحو موضوعات عدة: اليسار السياسي ، سكة الحديد، الرقص والنساء الجميلات، وزواجه بكيميائية شابة (لها مستقبل جيد في جامعة كيمبردج) لم يمنعه من الاحساس بالحب تجاه عالمة صينية تدعى لو غوي ـ دجن. أحاسيسه تلك دفعته الى تعلم اللغة الصينية التي احبها وانفتح امامه بعدئذ، عالم من الكريستال يضم شخصيات فكرية ، كما عبر عن ذلك وما ان اصبح يجيد اللغة الصينية ،إذ تلقى يندلهام دعوة من الحكومة البريطانية ، عام ١٩٤١ للقيام بمهمة دبلوماسية في الصين ،عندما كانت تحت الحكم الياباني ، وافق على الدعوة وامضى الاعوام التالية القليلة يتجول في تلك البلاد. وفي كتابه ، يعتمد وينجستر على كتابات يندلهام كثيراً، ويحاول جهده تعريف القارئ بالصين التي سحرته: بلاد الشوارع الضيقة ، والمصابيح والمزدحمة بحشود البشر، وايضاً «الجبال الشاهقة والمشاهد الطبيعية الساحرة ، طرق وجسور متهدمة. وهو ايضاً يعيد خلق الهياج الذي أحسه يندلهام وهو يجوب بفضول الريف الصيني متعرفاً على اصل كل الاشياء من البرتقال الى البوصلة المغناطيسية ، وكلها تعرف على المزيد من الامور، أدرك عمق ووسع فضل الصين على البشرية. ولم يعد يندلهام بعد ذلك الى ابحاثه في الكيمياء العضوية وبدلا عنه انصرف بقية حياته في البحث عن سؤال يجوب عقله: لماذا لم تتطور المعرفة والعلم بشكل خاص في الصين؟»

عاش يندلهام حتى بلوغه الـ ٩٤ من عمره، زار الصين عدة مرات مع احتفاظه بمركزه في كيمبردج.

وفي اعوام الخمسينيات من القرن الماضي ترأس لجنة اتهمت الولايات المتحدة الامريكية باستخدام الاسلحة البيولوجية ضد كوريا الشمالية في الحرب (تهمة تبين فيما بعد زيفها) كما انه ادار عينيه فيما رآه عدد كبير من الاوروبيين من تجاوز حكومة ماو تسي تونغ على حقوق الانسان.

والكتاب يقدم صورة مشوقة وممتعة لرحلات يندلهام في بلاد الصين الشاسعة، في اقل من ٣٠٠ صفحة ، تشد القارئ اليها.

عن الهيرالد تربيون

المدى الكامل لموسيقى القرن العشرين

اسم الكتاب/ البقية ضوضاء ، الاصغاء الى القرن العشرين

ترجمة: هاجر العاني

تاريخ موحد وشامل لموسيقى القرن العشرين هو حجر الفلاسفة× للنقد الحديث وهو كيفية تحويل تعقيد واسع ومثير كهذا الى معدن نهب تصوري؟ انه كمحاولة تثبيت زئبق في الجدار اذ ماذا تدعو هذا الامر بالضبط ؟ وقد كان المصطلح « الموسيقى الكلاسيكية « مصطلحاً مهجوراً قبل بدء القرن مع مباني اللهو الصوتية الضخمة غريبة الاطوار لـ[شتراوس]١ و[ماهلر] ، وبحلول العصر الحديث مع أمثال [جون آدامز] و[فيليب غلاس] كانت علامة « كلاسيكية « قد أصبحت غير لائقة بشكل سخيف .

ومهما كنت تدعوه فإن الموسيقى في القرن العشرين انفجرت في نسق رائع ومحيِّر من الاساليب التي اجتازت الى حد بعيد قدرة الجمهور على الاستمرار ، وثمة صلة عميقة بين عمل [شتراوس] النشاز وتجارب [جون كيج] في التأليف الصامت ، الا ان الامر يستدعي رجلاً شجاعاً لمحاولة عمل تركيب جرئ كهذا .

و[أليكس روس] لها ، ففي « البقية ضوضاء « يحاول ناقد الموسيقى في صحيفة الـ [نيويوركر] ان يحتضن المدى الكامل لموسيقى القرن العشرين وذلك لوصف أصواتها ولتعقب تطورها ولتوضيح التأثير العميق للموسيقى على التاريخ الحديث والعكس بالعكس ، وما يزود هذا الكتاب الطموح بالقوة ويمنحه السلطة هما حب استطلاع المؤلف التوسعي والانفتاح المصفّى للعقل .

ويبدأ [روس] في عام ١٩٠٦ بالحفل الموسيقي الاول لـ«سالومي» في (غراز) بقيادة [شتراوس] ، أمسية تاريخية اجتذبت تحت سقف واحد [بوتشيني]٢ و[ماهلر] و[شونبرغ]٣ و(كما إدعى فيما بعد) المراهق [أدولف هتلر] ، ويختتم الكتاب بالحفل الافتتاحي عام ١٩٨٧ لـ [آدامز] عرض «نيكسون في الصين» في (هيوستن) بالولايات المتحدة ، ويقدم [روس] روايات مستحوذة على الانتباه وموثوقة لنشوء الموسيقى اللا نَوطية وموسيقى الـ ١٢ نغمة والتشابك بين قيام الحداثة في الموسيقى والرقص في عروض باليه [دوبوسي]٤ و[سترافنسكي]٥ وعلاقة [شوستاكوفيتش] المعذّبة مع [ستالين] ، وكمثل أي موسوعي كفوء فإنه يعتمد على أفضل خبرة موجودة ، ومع ذلك فإن العديد من صفحاته الفاتنة تنشأ عن البحث الاساسي بعيد المدى للمؤلف في موضوعات معروفة سابقاً للمتخصصين الاكاديميين.

صورة للسيرة الذاتية لعازف الكمان والمؤلف الموسيقي الامريكي الافريقي في القرن التاسع عشر [ويل ماريون كوك] مؤثرة بقدر تلك الخاصة بالعديد من المؤلفين الموسيقيين الاكثر شهرة ، وتم الغاء الظهور الاول لاوبرا [كوك] المستندة الى رواية «كوخ العم توم» المخطط لعرضها في المعرض العالمي لعام ١٨٩٣ وذلك بسبب عدم امتلاك الممثلة الرئيسة أجرة الانتقال بالقطار الى شيكاغو ، وبعد ظهور [كوك] الاول في قاعة كارنيجي عندما أعطاه ناقد حسن النية إطراءً يحتمل معنيين اندفع [كوك] في مكتب الناقد وصرَّح قائلاً: « لستُ أعظم عازف كمان زنجي في العالم ، بل انني أعظم عازف كمان في العالم !»

وهو ينقب من خلال أرشيفات الاحتلال الامريكي لالمانيا ما بعد الحرب لفُك [روس] قصة مدهشة عن محاولات [قسم الحرب النفسية] في نزع نازية المشهد الموسيقي هناك ، وتنص واحدة من اوائل المذكرات على ان « على رأس كل الضرورات ينبغي ان لا نعطي الانطباع بمحاولة تنظيم الثقافة بالطريقة النازية « في حين تصف وثائق لاحقة مجموعة مبادئ موسيقية « ديمقراطية» صارمة تقريباً بقدر [الاشتراكيين الوطنيين] (أي النازيين) ، وحتى [سيبليلياس] الذي ربما كان آنذاك اكثر المؤلفين الموسيقيين شعبية في العالم على قيد الحياة كان موضع شبهة كما يكتب [روس] لأن عمله قد يكون « أوقظ ثانية مشاعر تفوق الشعوب الجرمانية٦ «.

ويتعمق [روس] في المادة المدهشة بخصوص المؤلفين الموسيقيين الاوربيين العديدين الذين هاجروا الى لوس انجيليس خلال عقد الثلاثينات من القرن الماضي ، فـ[شونبرغ] أعلى حَبر للا نَوطية كان يقيم في [برينتوود] على بعد أميال قليلة من عملاق الحداثة الموسيقية الآخر [سترافينسكي]، اما [رخمانينوف]٧ فكان يقيم في [نورث ايلم درايف] ، قائد الفرقة الموسيقية [أوتو كليمبر] كان جاراً لـ [أوتو بريمنغر] ، وصور [شونبرغ] لا تُنسى سواءً عند لعبه التنس مع آل [غريشون] او مضارعته الذكاء مع [فاني برايس] النجمة الصاخبة لـ [زيفيلد فوليز] ، وقد أحرجت المؤلف الموسيقي لـ « موسى وهارون» في حفلة عندما قالت: «هيا يا بروفسور اعزف لنا لحناً «.

ومن المفارقة ان كتاب « البقية ضوضاء « يكتسب الكثير من سلطته الفكرية من الاتجاه الجريء لمؤلفه نحو الثقافة الشعبية ، وسعة اطلاع [روس] وادراكه للسيرة رفيعة الثقافة امر لا يرقى اليه الشك غير أن ما يبعده عن أغلب نقاد الموسيقى هي السهولة المألوفة التي يعالج بها كذلك موسيقى كل من الجاز والروك والسينما والتلفزيون ، وصوته عذب وقوي ، وليس لديه نظرية كبرى ليثبتها ولا صنم ليحطمه .

ومن الواضح ان هناك عنصر ذوق قوي جلي في كتابه الا انه ليس بمدعٍ او رافض للفنانين على الاطلاق ، و اندفاعاته النادرة في الرفض التام يتم ادخارها للنقاد المعارضين معارضة مفرطة كما هو الحال عندما ينتقد بقسوة النقودات الساخرة لـ [فيرجيل تومسون] و[تيودور أدورنو] بأنها « متعجرفة بشكل مقرف – لغة باردة بالنسبة لحروب المتحررين «.

وبعد (٥٠٠) صفحة تقريباً من التأليف الرائع يتعرج [روس] ويصبح مترهلاً قليلاً في وصف اواخر القرن العشرين ، وليس الخطأ خطأه بالكامل ، إذ مع الاستثناء الرائع لـ [آدامز] وبحلول نهاية القرن كانت الموسيقى نفسها متعرِّجة ومترهلة كثيراً ، وأبرز الحقائق للحياة الموسيقية المعاصرة هي الهروب الجماعي للجمهور وهي قضية يثيرها [روس] على مضض فقط قائلاً :» بالنسبة للمتفرج الساخر تكون الاوركسترا ودور الاوبرا عالقة في ثقافة المتاحف والعزف لكتيبة متناقصة من المشتركين المعمّرين والمدّعين انهم من النخبة»، وكَرَدّ يقدم وجهة نظر مفعمة بالامل تقصر كثيراً عن بلوغ المعيار واقعي التفكير الذي يحكم سائر كتابه :» كثيراً ما يكون الارتباك مدخلاً الى التعزيز وحتى قد نكون على عتبة عصر ذهبي جديد».

× حجر الفلاسفة : حجر (او مادة او مستحضر كيميائي) خيالي اعتقد أصحاب الكيمياء القديمة أنه قادر على تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب او فضة وعلى اطالة الحياة . قاموس المورد

١ (يوهان شتراوس) (١٨٢٥-١٨٩٩): مؤلف موسيقي نمساوي وضع عدداً من الاوبريتات واكثر من (١٥٠) فالساً . نفس المصدر السابق.

٢ (جيياكومو بوتشيني) (١٨٥٨- ١٩٢٤): مؤلف موسيقي ايطالي حظيت اوبريتاته بنجاح شعبي منقطع النظير. نفس المصدر السابق.

٣ (آرنولد شونبرغ) (١٨٧٤- ١٩٥١): مؤلف موسيقي امريكي عُرف بتحرره من قيود الشكل الموسيقية التقليدية. نفس المصدر السابق..

٤ (كلود دوبوسي) (١٨٦٢- ١٩١٨): مؤلف موسيقي فرنسي وأحد أبرز ممثلي المدرسة الرمزية في الموسيقى ونفس المصدر السابق..

٥ (إيغور سترافنسكي) (١٨٨٢- ١٩٧١): مؤلف موسيقي روسي يعد أحد أعظم الموسيقيين في القرن العشرين . نفس المصدر السابق.

٦ الشعوب المقيمة في اوروبا الشمالية وبخاصة اسكندنافيا . نفس المصدر السابق.

٧ (سيرجي رخمانينوف) (١٨٧٣- ١٩٤٣): مؤلف موسيقي روسي اتسمت آثاره بطابع قومي رومانتيكي تغلب عليه الكآبة . نفس المصدر السابق.